عصور - تصنيف ج- المجلد 21 / العدد02 - ديسمبر2022
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

معرف الكائن الرقمي للمقال:10.54239 /2319-021-002-017(DOI)

# الجزائر والصين: صراع ضد الامبريالية وتعاون من أجل التنمية

# Algeria and China; straggle against Imperialism and cooperation for the development

**د. رنيمة أحمد** *
**جامعة أحمد بن بلة، وهران1**
ahm.renima99@gmail.com

**تاريخ الإرسال: 2022/08/28 تاريخ المراجعة: 2022/09/10 تاريخ القبول:2022/11/08**

**الملخص:**

يعالج هذا المقال العلاقات بين جمهورية الصين الشعبية والجمهورية الجزائرية منذ أن تمكنت الصين من الخروج منتصرة بعد الحرب العالمية الثانية وتجاوزها للحرب الأهلية وكيف صارت تجربتها في مواجهة الامبريالية العالمية تجربة رائدة جعلت الكثير من المناضلين الجزائريين يعجبون بها ويتلقون الدعم المباشر بمختلف الأشكال، ماليا وماديا وبخاصة دبلوماسيا خلال سنوات حرب التحرير (1954-1962). ورغم فتور العلاقة بين البلدين خلال سبعينات القرن العشرين إلاّ أن الماضي المشترك الذين يعود إلى فترات تاريخية بعيدة حينما كان الرحالة والتجار العرب المسلمين يتوافدون على بلاد الصين الغنية المتنوعة بشعوبها التي كانت ولا يزال تتقن الصناعة والتجارة، وكذا المصير المشترك في مواجهة الأحادية القطبية، قد جعل البلدان يجددان آليات التعاون في كثير من المجالات في مواجهة الرأسمالية العالمية

*د. أحمد رنيمة، جامعة وهران 1.

المتجددة ومن أجل تحقيق التنمية، فهل ستستغل الجزائر الفرصة لإحداث تنمية شاملة، وكسب مكانة إقليمية ودولية متميزة؟

**الكلمات المفتاحية:**

الجزائر-الصين، علاقات العرب بالصين، الثورة الصينية، الثورة الجزائرية، الامبريالية، تصفية الاستعمار، التعاون الصيني الجزائري، التنمية الاقتصادية، الأحادية القطبية.

**Abstract:**

This paper aims to cover a crucial period of the common history between Algeria and China. The relationship of the People's Republic of China and the Algerian Republic become stronger since China could emerge victoriously after World War II and overcome the civil war and how could this country fight imperialism. This experience became a kind of revolutionary liberation model that inspires many Algerian militants. During the Liberation War (1954- 1962), Provisional Government of the Algerian Republic received direct financial and material support, in spite of the coldness of the relationship during the seventies of the twentieth century, the common past, which dates back to long historical periods when Arab Muslim travelers and merchants discovered diverse and rich country in the far east, Chinese people were and still masters industry and trade, however a common destiny made the two countries renew cooperation in all Fields in the face of renewable global capitalism.

**Keywords**: Algeria-China, Arabs and china, the Chinese revolution, the Algerian revolution, Imperialism, decolonization, the Sino-Algerian cooperation, Economic development, Unipolarity.

**مقدمة:**

ارتبط تاريخ إفريقيا وأسيا المعاصر بالحركة الاستعمارية الغربية التي فرضت هيمنتها على الجغرافيا والموارد، وسخرت الشعوب لخدمة الآلة الرأسمالية التي تحولت من المحلية إلى العالمية بفرض منظومة القيم والمعايير الغربية وتكبيل العقول والنفوس بأنماط فكرية وتصورات جديدة عن الكون والإنسان والحياة، حتى صار من الصعب أو المستحيل مقاومتها والتخلص منها إلى يومنا هذا، على الرغم من تراجع الاستعمار الأوربي وأشكال الاحتلال السياسي والجغرافي مع نهاية الحرب العالمية الثانية. في المقابل كانت التجارب الثورية والتحررية كثيرة ومتنوعة، رغم عدم قدرتها على تجاوز ونقد القيم والمعايير التي سطرتها الرأسمالية العالمية، ثم سرعان جاءت التجارب التنموية والتكنولوجية التي كرست العمل الثوري التحرري لتراكم منظومة القيم الأصلية المناهضة للهيمنة الغربية، فهل ستكون تجربتا كل من الجزائر والصين من بين أهم المساهمات في تشكيل عالم متأهب للانفلات من طوق المركزية الغربية؟

**1/عرب مسلمون في ضيافة بلاد الصين:**

كان أبو دُلف بن مسعر بن المهلهل (ت 390هـ)، شاعرا وعالما ورحالة، قام خلال القرن العاشر الميلادي بتدوين رحلة إلى الصين ضمن بعثة سارت "من بخارى وعبرت تركستان الغربية (ينظر التعليق رقم 1) ثم تركستان الشرقية (شينجيان) ثم التبت، ودخلت إلى الصين في تاريخ غير معروف. ومن الصين اتجه الشاعر إلى الهند ثمّ عاد أدراجه إلى سجستان." (العربي، 1984: 130) وحسب إسماعيل العربي فإنّ هذه الرحلة يؤكدّها الكثير من الباحثين الغربيين المتخصصين في تاريخ علم الجغرافيا، أمثال كراتشكوفسكي (ينظر التعليق رقم 2) في عمله الكبير: "تاريخ الأدب الجغرافي العربي" وكذلك الباحث الفرنسي غبريال فيرون (1864-1935م) GABRIEL FERRAND المختص في مدغشقر وقد كتب عن تاريخ وجغرافية الشرق الأقصى (FERRAND; 2014: I, 132-134)، كما كانت رحلة أبو دُلف مصدرا لبعض الجغرافيين العرب أمثال ياقوت الحموي الذي روى عنه مادة **"صين"** التي وردت في معجمه الشهير. كما روى الحموي: "ومن غريب ما يذكر أبو دُلف أنهم انتهوا إلى موضع يقال له القُلَيْب غير بعيد من حدود الصين فيه قوم من العرب «ممن تَخَلّف عن تبع لما غزا بلاد الصين لهم مصايف ومشات في مياه

ورمال، يتكلمون بالعربية القديمة ولا يعرفون غيرها ويكتبون بالحميرية ولا يعرفون قلمنا، يعبدون الأصنام»... إلى أن تصل البعثة إلى مدينة ساندابل التي قال أنّ بها دار المملكة..." (العربي، 1984: 127) من المهم أنّ معرفة –إن صحت رواية أبو دُلف طبعا- وجود قبيلة عربية على تخوم الصين منذ زمن قديم، وتداخل ذلك مع ما يروى عن غزوات الإسكندر المقدوني للشرق حتى حدود الصين وبين روايات عربيه عن غزوات التبابعة الذين حكموا اليمن، "...وكانت التبابعة ثلاثة أوّلهم شمّر أبو كرب الذي غزا الصين وأخرب مدينة سمرقند..." (الدينوري: 1330هـ: 46) ويبدو أن مملكة باختر BACTRIA، زمن حكم السلوقيين (250-125 ق م)، هي التي عاش فيها أقوام من الغرب (من مقدونيا والأناضول والشام...) مع سكان الشرق (فرس وتركمان وأفغان وهنود) وهذا دليل أنّ الحدود السياسية كما نراها اليوم هي في حقيقة الأمر فواصل وهميه ظهرت مع ظهور الدولة القومية في الغرب الأوروبي خلال القرن التاسع عشر الميلادي، فهذه الحدود اليوم تعيق إدراك حركة البشر وتنقلاتهم غير المتناهية، وانتقال السلع والبضائع، وتواصل الناس لسانيا ودينيا وثقافيا، وأن التعايش بين الشعوب والأجناس هو القاعدة، وأنّ الصراع والحروب كانت بسبب تعارض المصالح المادية خصوصا ثم المعتقدات الدينية والتميز العرقي، أكثر ما كانت نتيجة الانتماء القطري القومي، وأنّ الأطراف التي تمتلك قوة التحكم في الشعوب هي التي عادة ما كانت تسّخير الاختلاف والتنوع لتحقيق أهداف أصحاب النفوذ.

وبجزيرة صقلية التي كانت ضمن بلاد المغرب وصارت بجنوب أوروبا لمع اسم الإدريسي (493-559هـ/1100-1165م) كجغرافي عربي متألق تنقّل بين المغرب والأندلس وعاش في بلاط النصارى النورمان بصقلية، قد وضع للصين أوصافا وخصّها باهتمام من حيث جغرافيتها وعمرانها واقتصادها وأعراقها وعقائدها ومظاهر الحياة بها في مدوناته وفي خرائطه، معتمدا على كثافة ما كان يصل من معارف الرحالة العرب والمسلمين وكذا التجار والوفود إلى ذلك البلد البعيد القريب، بعيدا جغرافيا في موقعه بخاصة بالنسبة للمغاربة، لكنه قريب بانتمائه للمجتمعات الشرقية عموما بقيمه وبحضارته وثقافته. أماّ بن بطوطة (703-779هـ/ 1304-1377م) فيقول أنه دخل على حاكم الصين في قصره خلال رحلته الطويلة منطلقا من مدينة طنجة بالمغرب الأقصى بعد رحلة خطيرة

للغاية، حيث وصل من الفليبين إلى تشوانتشو 泉州市 بمقاطعة فوجيان 省建福 ثم إلى بيجين. (ابن بطوطة: 628) إنّ هذا الاتصال والتواصل الذي لم ينقطع عبر التاريخ بين الشعوب في الصين وشعوب الشرق الأقصى عموما، وبين العرب والمسلمين دليل على أنّ التعاون والتبادل هو المظهر الأكثر طبيعية والأكثر تداولا وحدوثا، وأنه بالضرورة كان يخدم مصلحة الطرفين. (الكيلاني، 2008، 82 وما بعدها).

منذ القرن التاسع عشر الميلادي ورغم العزلة والانطواء التي فُرضت على الصين بسبب عدم الاستقرار الداخلي والعدوان الخارجي، إلا أنها تمكنت من فك خيوط معظم الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية المتشابكة والمعقدة. ومع مطلع القرن العشرين لمعت إشارات النجاح والتفوق لهذه الأمة، وبدا التحوّل عميقًا وحركية التغيّر مسرعة على بنية المجتمع الصيني الذهنية والفكرية والمعرفية، واستطاعت النخب الواعية والمتفتحة والمخلصة تتخلص من تراكمات الماضي المظلمة وشرعت في مواجهة الأخطار الخارجية وتحصين المجتمع والدولة ضد الامبريالية العالمية ومحاربتها بطرق ذكية وفعالة، وكسب الأصدقاء عبر سياسة عالمية شاملة تمجد قيم الحرية والتقدم وتُذكي الروح الوطنية البناءة والمتسامحة.

**2/صينيون وعرب، معا ضد الامبريالية العالمية:**

لقد التقى تشو انلاي( التعليق رقم 3) الكثير من الوفود العربية بمناسبة انعقاد مؤتمر باندونغ BANDUNG بإندونيسيا سنة 1955م، وقد عرضت الصين الشعبية سياستها الاتصالية والمتعاونة مع البلدان العربية والمستعمرة عموما في إطار مناهضة سياستها الإمبريالية العالمية، ذلك من أجل الدفع بسياسة تصفية الاستعمار إلى الأمام. وعلى الرغم من محافظة بعض الدول العربية على علاقات وطيدة مع الدول الغربية المستعمرة أنداك، إلا أنّ الاختلاف الإيديولوجي والعقائدي لم يمنع البلدان العربية والإسلامية من قبول الدعم الصيني، بل والإلحاح على طلبه، دون إحداث اختلال في البُنَى الفكرية والسلوكية واللسانية للمجتمعات العربية مثل مصر والعراق وسوريا والجزائر، وتحويلها إلى مجتمعات اشتراكية بالمفهوم الصيني والرؤية الماوية.

بعد انتصار الصين الشعبية وتأسيس الدولة، لم يكن للسلطة الجديدة في الدولة القديمة سبل ممهدة للوصول إلى المنطقة العربية بالطرق المباشرة، لقد قدمت

الصين نفسها في إطار التعاون والتضامن الأفروأسيوي، وذلك بتنمية العلاقات الثقافية ودعم المسلمين الذين يمثلون أقلية مهمة جدا داخل الصين في روابطهم الدينية مع المسلمين في البلدان العربية، وبعد ذلك توسيع العلاقات التجارية وبعدها التعاون على المستوى السياسي، وكان ذلك وفق سياسة حذرة جدا، لأن الأوضاع السياسية لم تكن مستقرة بشكل جيد لا في الصين ولا في البلدان العربية وسياسة التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان كانت سمة الدبلوماسية الغربة الامبريالية. لقد وجدت الحكومة والسلطات الصينية نفسها ضمن مهمة مواجهة التأثيرات الأنجلوسكسونية من جهة وكذلك التأثيرات السوفيتية من جهة أخرى بسبب الخلاف الإيديولوجي، وهذا ما جعل من هذه المهمة مهمة خطيرة جدا. فحملة دعم الدول العربية من أجل تحقيق الوحدة ومواجهة إسرائيل هي المهمات الأساسية التي كانت الصين تتطلع إلى تحقيقها. (BERGERE & BIANCO & JÜRGEN ; 1991: 392)

**3/الصين المعاصرة وبلدان المغرب:**

قام رئيس الوزراء الصيني تشو انلاي برحلة إلى البلدان الإفريقية وحط بتونس في شهر يناير سنة 1964، حيث تم إقامة العلاقات الدبلوماسية بصفة رسمية، وبعدها حاول الصينيون استمالة الرئيس بورقيبة خلال الأزمة الهندية الباكستانية وبعدها تجمدت العلاقات التونسية الصينية لعدة سنوات. أما علاقات الصين بالمملكة المغربية فإنها حافظت على اتصالات تجارية متواضعة، على الرغم من توقف تشو انلاي بالرباط في إطار زيارته الإفريقية، ولقائه بالملك الحسن الثاني الذي أبدى استعدادا لاحتضان المغرب القمة الثانية الأفروآسيوية. أما العلاقات الصينية الليبية فإنها كانت ممكنة منذ أن تغيّر نظام الحكم سنة 1969م بخروج ليبيا من تحت التأثير الإنجليزي فرنسي إلى التأثير السوفيتي وعلى الرغم من زيارة الرئيس معمر القذافي إلى بكين سنة 1982م، فإنّ الواقع أنها بقيت ضعيفة بسبب العلاقات الصينية المصرية المتقدمة من جهة ومن جهة أخرى، فإن السياسة المضطربة والمفتوحة على كل الاحتمالات للعقيد القذافي كانت غير مقبولة من طرف الصين المتحفظة باستمرار من جهة أخرى. ( BERGERE & BIANCO & JÜRGEN ; 1991: 393)

**4/طبيعة الوضع الاستعماري الاستيطاني في الجزائروخصوصية المقاومة:**

تعرضت الجزائر إلى شكل مختلف من الاستعمار عن باقي الدول العربية منذ سنة 1830م وعلى الرغم من شدة المقاومة وضراوتها والتي استمرت حتى 1919م بأقصى الجنوب، إلا أن فرنسا تمكنت من إحراز التقدم على الأرض وإخضاع كل الأقاليم والسكان في خلال مدة سبعين سنة، تردد الساسة الفرنسيون في التعامل مع مصير الجزائر خلال هذه الفترة بسبب شدة المقومة المسلحة وتحولها إلى مقاومة وجودية، فالرفض الدائم لتواجد الأوربيين بالبلاد هو من أخر الحسم، فقررت السلطات الفرنسية مباشرة بعد إبادة ثورة الشيخ المقراني 1871م ونفي الكثير من العائلات الثائرة إلى كاليدونيا الجديدة وهي مستعمرة فرنسية في المحيط الهادي، قرارا خطيرا جدا ويتمثل في اعتبار الجزائر مستوطنة فرنسة أي أنها أرض فرنسية من الناحية الإدارية والسياسية، ويقتضي هذا القرار أن الجزائر ليست لا تحت الحماية ولا تحت الانتداب أو الوصاية، بل صارت في حكم أراضي العالم التي أستوطنها البيض وأنّ التخلي عنها للجزائريين أو لطرف أخر يعد خيانة عظمى. وبعدها بدأت حركة واسعة لاستقدام المستوطنين والأوروبيين ومنحهم الجنسية الفرنسية وحق المواطنة وكذلك الحال بالنسبة لليهود الذين هاجر معظمهم مع الأندلسيين الفارين من محاكم التفتيش الكاثوليكية الإيبيرية، وصار الوضع القانوني للجزائريين استثنائيا، فهم مواطنون فرنسيون لكن من دون أن يتمتعوا بأي حق من حقوق للمواطنة الذي يطبق في فرنسا دون المستعمرات، وكان قانون الأهالي ( GOUVERNEMENT GENERAL DE L'ALGERIE ; 1888: 651.) هو المطبق في الجزائر، حيث يعتبر الجزائريين رعايا وليس مواطنين.

خلال الحرب العالمية الأولى (1914-1918م) فرضت فرنسا التجنيد الإجباري على الجزائريين، وكان هذا الحدث فرصة للسلطات الفرنسية من أجل أيجاد محاربين باسلين يتقدمون الصفوف الأولى ليموتوا وتنتصر فرنسا مهم كان الثمن. أما بالنسبة للجزائريين فإنها فرصة لمن بقي على قيد الحياة أن يكتشف أوربا ويعرف بعضا من حقيقة فرنسا التي كانت مجهولة تماما بالنسبة له، ومعرفة حقيقة ما قد تشكل اكتشاف ثغرة ما في المنظومة الاستعمارية ونقاط ضعفها. وبعد انتهاء الحرب عاد الجنود إلى الديار وبدأ النضال السياسي والنقابي الإصلاحي تتضح معالمه في أوساط الشباب الجزائري المقيم في الجزائر، وفي أوساط المهاجرين إلى فرنسا بحثا عن فرصة عمل، كان العمل النقابي

ممارسة مشروعة وزاد الحماس للعمل ضمن الحركة النقابية العمالية العالمية التي بدأت تنتصر وبقوة في بعض البلدان الأوروبية مثل روسيا.

شهدت الجزائر خلال فترة ما بين الحربين العالميتين نشاطا وحركية سياسية نضالية ونقابية وإصلاحية ثقافية، بسبب انتهاء كل أشكال المقاومة والثورة الوجود الفرنسي الاستيطاني في اللحظة التي تمكنت فيها فرنسا من فرض "السلام في الجزائر" حسب تعبير الحكومات الفرنسية Pacification de l'Algérie، وقد أدى هذا الاستقرار إلى زيادة أشكال التواصل بين الجزائريين وبخاصة الشباب مع الجمعيات السياسية والحركات النقابية في فرنسا، كما أن الهجرة ازدادت كثافة نحو أوربا وكذلك البلدان العربية وازداد الاحتكاك مع النخب العربية والإسلامية المناضلة ضد الاستعمار بشكل عام. وبإيجاز يمكن تصنيف هذه الحركات النضالية في الجزائر إلى أربعة اتجاهات متباينة من الناحية الإيديولوجية ومن الناحية العملية:

- الاتجاه الاندماجي الحداثي: تزعمه فرحات عباس وكان من النخب التي كانت قريبة من الرؤية الفرنسية، حيث درس في المدرسة الفرنسية من الابتدائي إلى الجامعة وعلى الرغم من قلة هذه الفئة عدديا إلاّ أنّها كانت مؤثرة بسبب تواصلها السلس مع النخب السياسية والفكرية الفرنسية، وتشبعها بقيم الحداثة الغربية، وكانت وذات مرجعية ليبرالية. كان يرى هذا الاتجاه أنه من واجب الجزائريين الاستكانة إلى السلم الذي فرضته فرنسا وتجاوز مأساة الغزو المدمر، ومن واجب فرنسا أن تدمج الجزائريين في المجتمع الفرنسي وتعطي الحقوق كما فرضت الواجبات على جميع مواطنيها في أوروبا أو في إفريقيا.

- الاتجاه الإصلاحي: انطلق هذا التيار من فكرة "الأمة قبل الدولة". بعد اتصالات بالمشرق العربي، تمكن عبد الحميد بن باديس وهو شاب ذو مرجعية إسلامية وطنية متنورة من بلورة فكرة إصلاحية رائدة في الجزائر، انطلقت من أنّ الاستعمار الاستيطاني أصبح واقعا وجب قبول فكرة التعايش معه رغم مرارته، وأنه لا سبيل إلى تغيير الوضع إلى بالعمل ضمن قوانين وأطر الدولة الفرنسية المفروضة، وعليه فقد رأى أنّ الأمة العربية الإسلامية في الجزائر تكاد تفقد مقوماتها الثقافية والحضارية وتفقد تميزها العقائدي واللساني والعرقي، وخصوصية منظوماتها التشريعية والتعليمية

والسلوكية...، بل أنّ كل أفراد المجتمع سيموت من شدة الفقر والجوع والمرض والتقتيل إن فقدوا حبل الله وفقد الأمل وعلل الوجود، ولمواجهة المشروع الاستعماري الاستيطاني وجب البحث عن مرتكزات الهوية المناقضة والمقابلة للهوية الأوربية الغربية. ففي مقابل المسيحية الكاثوليكية هناك الإسلام السني، وفي مقبل الحضارة الغربية هناك الحضارة الإسلامية بقيم العدل والعلم والعمل، وفي مقابل اللسان الفرنسي هناك اللسان العربي، وفي مقابل الأوربيين المستوطنين الغزاة، هناك الجزائريين المتجذرين اللذين قبلوا الإسلام العربية لسان مؤسساتهم السياسية والإدارية والثقافية والعلمية وقيمهم الروحية والوجودية واندمجت معهم أعراق منذ مئات السنين وتشكلت هوية متجانسة متراصة إلى أبعد الحدود. لقد أسس هذا لاتجاه ما يعرف "بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين" التي كانت تنشط تحت السلطة الفرنسية وضمن نظمها وقوانينها، وكان على فرنسا أن تُظهر روح الحرية والمساواة والأخوة أمام الرأي العام العالمي وأن تمارس المضايقات واعتقالات بشكل مستمر أمام النضال الوطني الجزائري.

وكانت الجمعية التي سماها الفرنسيون les Ulémas تهتم بالتعليم والكتابة الصحفية وإنشاء المدارس والنوادي والبحث في كل يثبت هوية الجزائر الوطنية ودحض أطروحة الجزائر الفرنسية، والتي كانت تروج لها فلسفة الاستعمار الاستيطاني وتعتبر أن الجزائر كانت لعدة قرون مقاطعة رومانية وصارت مسيحية وهي امتداد حضاري وثقافي لأوروبا، وأن الغزاة المسلمين الذين جاءوا من الصحراء العربية ادخلوا البلاد في ظلمات الطغيان والتعصب. لكن الجمعية تمكنت من ربح معركة الهوية لصالح أطروحاتها، وشكلت تهديدا حقيقيا لتلك السياسة التي أوصلت شارل دو غول غلى الاعتراف بأن مسلمي الجزائري سيصرون فرنسيين وعلى أوربا الاستعداد لغزوة جديدة من العرب المسلمين ولكن بشكل سلمي نتيجة تراكم أخطاء والتناقضات تلك السياسة( التعليق رقم 4).

- الاتجاه الاستقلالي: تزعم هذا الاتجاه رجل ذو شخصية قوية، ذكي وصعب المراس، يدعى أحمد مصالي، بعد تجنيده إجباريا كباقي الشباب في الجيش الفرنسي ومشاركته في الحرب العالمية الأولى (1914-1918م) بدأ بالنشاط النقابي مع العمال المهاجرين والفرنسيين بضواحي باريس، وتطورت الحركة إلى حركة استقلالية بكل وضوح وثبات

رغم التضييق والاعتقال وحل التنظيمات الحزبية والعمالية في الجزائر، وعقب نهاية الحرب العالمية الثانية (1939-1945م) وما تبعها من أحداث دموية بشرق الجزائر والمعروفة بمجازر الثامن من شهر مايو 1945م، حين خرج الجزائريون إلى الشوارع ومشاركة الحلفاء الاحتفالات بالنصر على دول المحور. كان هذا الاتجاه هو الأكثر انتشار والأكثر قبولا لدي الجزائريين بسبب اليأس في الحلول التوقيعية وسياسة التسويف التي لم تساهم سوى في زيادة بؤس الجزائريين ورفاهية المستوطنين الأوربيين المعرفون "بالأقدام السوداء" les Pieds noirs"، كما كان هذا لهذا لاتجاه صلات ايجابية مع الحركات التحررية في بلدان المغرب العربي وفي المشرق أيضا، وفي أوروبا كذلك.

- الاتجاه الشيوعي: كان لانتصار البلشفيين في روسيا القيصرية صدا عالميا شديد الوقع، ولأول مرة في التاريخ المعاصر تظهر قوة الطبقة الكادحة التي وصلت إلى التحكّم في وسائل الإنتاج، وإنهاء الوجود البرجوازي الرأسمالي. كان لهذا الوضع الجديد تأثيرا مباشرة على تحريك العمال والفلاحين في مختلف مناطق العالم. لقد تأسس الحزب الشيوع الفرنسي في العشرينيات من القرن العشرين، وانضم إليه بعض الجزائيين ضمن الأممية العالمية، لكن مواقفه من الاستعمار لم تكن جذرية وواضحة لإدانته باعتباره ظاهرة غير إنسانية في جوهره، وكان يكتفي هذا الحزب بالمطالبة بتحقيق المزيد من الحقوق والامتيازات لجميع عمال ومواطني الجمهورية الفرنسية على قدم المساواة دون التفريق بين الأوروبيين وبين الجزائريين، متغاضين الطرف عن التمييز العرقي والتشريعي والوجودي بين الشعبين، وهذا ما أدى وفي سنة 1936م إلى انفصال الحزب الشيوعي الجزائري عن الحزب الشيوعي الفرنسي، ثمّ سرعان ما انضم كثير من أعضائه الجزائريين إلى جبهة التحرير الوطني ويشاركون في الثورة التحريرية.

مثلت هذه الاتجاهات العديد من الأحزاب والجمعيات السياسية والنقابية والثقافية والطلابية والكشفية وغيرها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية إعلان الحرب على الاستعمار الفرنسي في الفاتح من نوفمبر سنة 1954م، وقد استثمرت جبهة التحرير الوطني Front de Libération National (FLN) الرصيد النضالي الطويل والعميق وقررت الدخول في مغامرة خطيرة لم يسبق لأي تجربة ثورية في العالم دخولها، أن تشنّ حرب عصابات واستنزاف ضد فرنسا، الإمبراطورية الاستعمارية العظمى،

والمنتصرة على النازية والعضو بحلف الناتو NATO، والضاربة بجذورها الاستيطانية في أرض الجزائر منذ أكثر مائة وعشرون سنة والمتحكمة بشكل مطلق في كل صغيرة وكبيرة داخل البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للشعب الجزائري. لقد كانت هذه الخطوة ضربا من الجنون لا تكاد تخطر على بال عاقل إلا على تلك النخبة النادرة. فكان عليها التحكم في تجنيد ملايين جزائريين كمقاتلين وفدائيين ومتعاونين مدنين في الاستخبارات والاتصال والتنظيم والتموين والتمويل، وإزاحة العناصر المعارضة والموالين للوجود الفرنسي بكل قسوة وصرامة، وإحلال الأمل في التحرر بدل اليأس والخنوع، والعمل على تدويل القضية وإقناع الرأي العام العالمي بأحقية القضية بتحويل الحرب إلى أراضي المستعمر وزيادة على كل هذا كان عليهم الحذر الشديد من الاختراق الإستخباراتي الفرنسي. كان هذا العمل فريدا ومتميزا وجبارا، ففي خلال أقل من ثمان سنوات، من نوفمبر 1954 إلى جويلية (يوليو) 1962م تمت العملية بنجاح باهر، وفي أقل من ثلاثة أشهر تمّ طرد مليون ونصف المليون من المستوطنين الأوربيين واليهود المتعاونين معهم، ونصف مليون جزائري عميل إلى فرنسا،( التعليق رقم 5) وتمّ تأسيس دولة وطنية سنة 1962م بأكثر من 98% من السكان لا يعرفون القراءة والكتابة.

لقد تمكنت جبهة التحرير الوطني الجزائرية من تجنيد بعض المتعاطفين من الأوربيين لخدمة القضية، كما تمكنت من ربح مواقف ومساعدة الأشقاء الجيران في تونس وليبيا والمغرب، وكذلك في مصر التي تزعمت حركة قومية مواجهة للغرب الاستعماري، كذلك في الشام والعراق، وباقي الدول العربية، كما تمكنت من تحويل الحرب الدبلوماسية والصراع إلى التراب الفرنسي واستغلال تواجد الجالية الجزائرية هناك، كما أقامت اتصالات مع الكثير من أنصار التحرر في أوربا من السياسيين والنقابيين وحتى بعض رجال المال والإعلام، كما كان المعسكر الشرقي ملجأ للمناضلين الوطنيين وبخاصة يوغسلافيا زمن حكم تيتو ( التعليق رقم6) Tito، ورغم أنّ الاتحاد السوفيتي لم تكن سياسة صريحة حيال قضية الجزائر إلى أن بعض الدعم كان يصل عبر تشيكوسلوفاكيا. أما جمهورية الصين الشعبية فإن حضورها في القضية الجزائرية كان خاصا قويا ومتميزا، بسبب مرورها بتجربة تحرير من النفوذ الامبريالي الأوروبي

الاستيطاني الياباني والغزو الأمريكي والحرب الأهلية بشكل بطولي رائع ومروع يتقاطع في كثير من معالمه مع قصة تحرر الجزائر.

**5/الصين خلال القرن العشرين من الصراع إلى التنمية:**

بعد الانتصار في حرب مقاومة ضد الاحتلال الياباني، استعد تشانغ كاي شيك وهو زعيم حرب كومينتانغ لشن حرب أهلية ضد خصومه من الصينيين، من ناحية، ومن ناحية أخرى كان يواجه ضغط الرأي العام الخارجي والمحلي الذي يطالبه بتحقيق السلام الداخلي ونبذ الحرب الأهلية. فاتخذ إستراتيجية "السلام الزائف، الحرب الأهلية حقيقيا". في أغسطس سنة 1945م دعا تشانغ كاي شيك ماو تسي تونغ Mao Zedong 毛泽东 ثلاث مرات من أجل "التشاور" حول قضية السلام الداخلي في مدينة تشونغتشينغ 重庆 Chongqing. وكان قصده الحقيقي من وراء ذلك أنه إذا لم يلبي ماو الدعوة ويحضر للتفاوض، سيزعم أن الحزب الشيوعي الصيني ليست له نوايا سلمية، ومن ثم يحمّله مسؤولية اندلاع الحرب الأهلية، وإذا لبى الدعوة فسيحاول إجبار الحزب الشيوعي الصيني على تسليم المناطق التي صارت تحت سلطة الجيش الشعبي بحجة التفاوض. (THE OVERSEAS CHINESE AFFAIRES; 2006: 231)

في 28 أغسطس سنة 1945م ومن أجل تحقيق السلم، توجه ماو تسي تونغ وتشو انلاي 周恩來 وغيرهما من مسؤولي الحزب الشيوعي الصيني إلى تشونغتشينغ للتفاوض مع الكومينتانغ، استمرت المفاوضات 24 يوما. قدم وفد الحزب الشيوعي الصيني سياسة أساسية لبناء البلاد سلميا، وهي: تجنب الحرب الأهلية، تحقيق وحدة البلاد على أساس السلم والديمقراطية والتضامن، بناء صين جديدة مستقلة وحرة وغنية وقوية. وافق تشيانغ كاي شيك ظاهريا على إنهاء الحكم الاستبدادي، وعقد مؤتمر استشاري لمختلف الأحزاب، وضمان الديمقراطية والحرية، وضمان المساواة بين مختلف الأحزاب ومكانتها الشرعية، وتم إعلان "محضر محادثات مندوبي الكومينتانغ والحزب الشيوعي" وسمي اتفاق العاشر من أكتوبر.

أثناء المفاوضات ثار جدال عنيف بين الحزبين حول السلطة في المناطق المحررة (المناطق التي حررها الحزب الشيوعي الصيني من الاحتلال الياباني أثناء حرب مقاومة اليابان) ومسألة مصير الجيش. طلب وفد الحزب الشيوعي الصيني الاعتراف بالمكانة

الشرعية للجيش الشعبي والسلطة في المناطق المحررة، بينما طلب تسيانغكاي شيك من الحزب الشيوعي الصيني تسليم الجيش والمناطق المحررة من أجل السلم، قدّم وفد الحزب الشيوعي الصيني بعض التنازلات ومنها أن يخفض عدد 24 فرقة من جيش التحرير الشعبي بشرط نزع السلاح بشكل شامل في كل البلاد، وسحب قواته من غوانغدونغ وهونان وغيرهما من ثماني مناطق محررة.

لقد أجبرت المفاوضات تشيانغ كاي شيك على الاعتراف بسياسة بناء البلاد سلميا. وفي الوقت ذاته، كشفت مؤامرة السلام الزائف والاستعداد الفعلي للحرب لحزب الكومينتانغ، مما جعل الحزب الشيوعي الصيني يحقق مبادرة سياسية، وجعل الكومينتانغ يقع في عزلة سياسية.

في شهر جويلية يونيو سنة 1946م أمر تشيانغ كاي شيك جيشه بالهجوم على المناطق المحررة في الشمال، فتصدى الجيش والمتطوعين من أبناء المناطق المحررة للمقاومة، فبدأت حرب التحرير رسميا. عندما اندلعت الحرب الأهلية كانت حكومة الكومينتانغ متفوقة عسكريا بصورة واضحة، فكان لديها جيش قوامه بين ثلاثة وأربعة ملايين فرد، وتسيطر على كل المدن الكبيرة ومعظم خطوط المواصلات الرئيسية، وتحظى بدعم الولايات المتحدة الأمريكية عسكريا وماليا. تمكن جيش وشعب المناطق المحررة من سحق هجوم جيش الكومينتانغ في فبراير 1947م وفي شهر مارس غيرت حكومة الكومينتانغ هجومها الشامل على المناطق المحررة سابقا إلى الهجوم مركز بشكل رئيسي على منطقة شنشي وقانسو ونينغشيا ومنطقة شاندونغ المحررة، لكنها فشلت أيضا في يونيو1947م، لقد حدث تغيير ملحوظ في ميزان القوة بين الطرفين، حيث انخفض إجمالي عدد قوات الكومينتانغ إلى، أقل من 3 ملايين، وتراجعت معنوياتهم. ووقعت حكومة الكومينتانغ في أزمة خطيرة سياسيا واقتصاديا، بينما ازدادت قوة جيش التحرير الشعبي العامة من 1،27 مليون، إلى 1،95 مليون، وشهدت تجهيزاته تحسنا كبيرا، وارتفعت معنويات الجيش كله، فبدأ التحول من الدفاع الاستراتيجي إلى الهجوم الاستراتيجي. (THE OVERSEAS CHINESE AFFAIRES; 2006: 233)

ابتداء من شهر جويلية يونيو سنة 1947م، انطلقت ثلاث قوات جيش التحرير الشعبي نحول السهول الوسطى على التوالي من أجل الهجوم على قوات حكومة

الكومنتانغ. في أوت أغسطس 1948م وصل إجمالي قوات جيش التحرير الشعبي إلى 2،8 مليون مقاتل، وتوسعت مساحة المناطق المحررة في الفترة ما بين 12 سبتمبر 1948 وفي يوم 31 جانفي (يناير) 1949، قررت اللجنة المركزية حسم معركة لياوشن، ومعركة هوايهاي، ومعركة بينغجين الكبيرة، حيث استطاع الحزب الشيوعي الصيني خلالها القضاء على القوة الرئيسية لجيش الكومينتانغ وحرر معظم مناطق البلاد، مما أسرع بقدوم النصر في حرب التحرير في البلاد كلها.

بعد المعارك الثلاث الكبيرة، واصلت حكومة الكومينتانغ نشر قواتها على الضفة الجنوبية لنهر اليانغسي في محاولة لمنع عبور جيش التحرير الشعبي النهر. في 21 ابريل 1949 أصدر ماوتسي تونغ والقائد تشو دي Zhu De الأوامر بعبور جيش التحرير الشعبي نهر اليانغتسي على خط ممتد من جيانغ ين 江阴 Jiangyin شرقا إلى هوكو 湖口县 Hukou غربا، لمسافة أكثر من 5000 كم وبثلاث طرق لشن معركة عبور النهر. تمكن جيش التحرير من تحرير مدينة نانجينغ يوم 23 ابريل، ففرت عصبة تشيانغكاي شيك إلى جزيرة فورموزة وأسس ما عرف بالصين الوطنية أي تايوان، وقد انتهت العمليات القتالية الواسعة النطاق في حرب تحرير البلاد في شهر جوان يونيو 1950م. (THE OVERSEAS CHINESE AFFAIRES; 2006: 235)

في الأول من شهر أكتوبر سنة 1949م صعد الرئيس ماو تسي تونغ بوابة تيان أنمان، ليعلن لشعوب العالم بكل فخر تأسيس جمهورية الصين الشعبية ومن يومها أصبح الأول من أكتوبر العيد الوطني للصين، وكذلك بداية تاريخها الحديث بعد تأسيس الصين الجديدة، تحت قيادة الحزب الشيوعي الصيني بزعامة ماو تسي تونغ، والجيل الأول من قادة الحزب الشيوعي الصيني والصين الجديدة، استعادت الصين نهضة اقتصادها الوطني، وأقامت النظام الاشتراكي، وحسنت معيشة أبناء الشعب، وعززت التضامن بين مختلف القوميات، وطورت العلاقات الخارجية، واستعادت مقعدها الشرعي في الأمم المتحدة ومقعدها الدائم في مجلس الأمن بفضل مجهود الدبلوماسية الجزائرية التي لم تنسى الفضل والجميل، وهذا ما غيّر من معالم جمهورية الصين الشعبية سياسيا واقتصاديا.

**6/الصين وجبهة التحرير الوطني الجزائرية:**

قامت جمهورية الصين الشعبية بتقديم الدعم المعنوي والمالي للثورة الجزائرية المناهضة للاستعمار الفرنسي والامبريالية العالمية. لقد استقبلت بكين العديد من المناضلين الجزائريين أمثال: فرحات عباس، وبن يوسف بخدة، وكريم بلقاسم، "كانت أول زيارة لوفد من جبهة التحرير الوطني الجزائرية إلى الصين في أواخر سنة 1958 بقيادة بن يوسف بخدة، ومعه كل من سعد دحلب ومحمود شريف، وقد أذاعت "صوت العرب": أن هذا البلد وهو جمهورية الصين الشعبية، وقد وعد الجزائر "صداقة عسكرية" ودعم دائما غير مشروط". (MEYNIER; 2003: 612)

كما ساعدت الصين جبهة التحرير بهبات تمثلت في مبالغ مالية بالعملة الصعبة وبمعدات عسكرية، كالأسلحة، والذخيرة، والمتفجرات، ومواد أخرى كالأحذية ووسائل التخييم وغيرها، كما ساهمت الحكومة الصينية بتوفير المساعدة التقنية، وبإرسال متطوعين إلى معسكرات الحدود، وبتنظيم تربصات عسكرية لحوالي 200 جزائري منذ سنة 1959. لقد كان هناك مدربين صينيين في مخيمات الجيش الجزائري في كل من تونس وليبيا والمغرب الأقصى، وكانوا مختصين في حرب العصابات وطرق التخريب، وفرق الأسلحة المضادة للطيران إضافة إلى سلاح المدفعية والاتصالات السلكية واللاسلكية وحتى مختصين في الطيران.( التعليق رقم 7) وقد اقترحت الصين إرسال فرقة متكونة من 15000 جندي صيني متطوع من أجل القتال في الجزائر ولكن هذا الدعم لم يُدرس بشكل جيد، كما خشي قادة جبهة التحرير من إدخال المتطوعين إلى البلاد وعدم التحكم فيهم، ومع نهاية سنة 1960 صرحت الحكومة المؤقتة "بأن وصول المتطوعين المجندين الصينيين لا يتلاءم مع الوضعية الفعلية التي تعيشها البلاد". (MEYNIER; 2003: 612)

لقد نشرت مجلة نيوز ويك Newsweek في عددها الصادر في 22 أبريل 1959 إثري المهمة العسكرية التي قام بها عمر أوصديق في ربيع سنة 1959، حيث قضى عدة أسابيع في الصين، أنه عقد اتفاقا يقضي بإرسال الأسلحة إلى الجزائر، حيث وصلت قيمتها إلى 25 مليون دولار (12.5 مليار فرنك قديم AF) يمكن دفعها على المدى البعيد بعد الاستقلال. ومع نهاية سنة 1960 وصلت وعود الصين اتجاه جبهة التحرير إلى 30 مليون دولار (تقرير نوفمبر1959، وفي سنة 1960 وصلت مساعدات الصين من المواد

الغذائية والعتاد إلى 10 مليون دولار(أي 5 مليار فرنك) وتدل هذه المؤشرات على تصاعد نسبة المساعدات في السنوات اللاحقة. (MEYNIER; 2003: 612)

لقد كان الدعم العسكري الصيني هو الأكبر دون شك الذي تلقته جبهة التحرير الوطني خلال فترة الحرب كلها. ولكن هذا الدعم ولأسباب منطقية فإنه ظل على الحدود الشرقية والغربية دون أن يدخل إلى داخل الولايات التي كانت تعاني شحا وندرة للسلاح كادت أن تعصف بمشروع التحرير كله، فلو قُدّر له الدخول إلى أعمق الأراضي الجزائرية لاتخذت الحرب أبعادا مختلفة، وربما قد سرع هذا التسليح في تحقيق الاستقلال قبل 1962م. لقد استعمل العتاد الصيني في بعض العمليات منها تدمير المركز الحدودي الفرنسي بعين زانة بالحدود الشرقية يوم 14 جويلية 1959م. وفي أكتوبر من السنة نفسها وجه رئيس الوفد بن يوسف بخدة عبارات الشكر الجزيل من الحكومة المؤقتة إلى الجنرال شين يي SHEN YI (1901-1972م).

بعد نجاح العملية، وفي هذه المحادثات طلب الجزائريون من الصين إمدادهم بكل الوسائل الممكنة من أجل فك الحصار الذي تضربه القوات الاستعمارية الفرنسية على الجزائر وتحطيمه وذلك عن طريق استعمال الإنزال الجوي، والغواصات، والمروحيات... (MEYNIER; 2003: 613) لكن الصين كانت إجابتها الرافض للفكرة، وذلك انطلاقا من أن استعمال هذه الوسائل غير ممكن من الناحية العملية، وأن الوضع خاضع لمتغيرات خاضعة من جهتها إلى موازين القوى في المنطقة، كما كان الصينيون يرون أن الجزائريين أصبحوا أكثر بطئا في التحرك، وأنهم غير متحمسين لعمليات هجومية أكثر، وهذا بناء على تقرير أرسله المتعاونون الصينيون بالحدود المغربية اللذين انتقدوا الجبهة واتهموها بسوء التسيير والتراخي والإهمال(هذا صادر عن تقرير للمخابرات الفرنسية).

قام الجنرال شين يي بتذكير ضيوفه بمقولة ماوي تسي تونغ "اعتمد أولا على قدراتك الذاتية" وقد صرّح"بأن تجاربنا السابقة قد علمتنا بأننا حينما نكسب السلاح لا يعني بأننا سنربح الحرب" (HARBI; 1980 : 528) ويبدو أن شين يي لم يكن مطلعا على الوضعية في الجزائر التي كانت تجربتها مخالفة للتجارب الصينية السابقة، وعلى أي حال فإن الصينيين لم يكونوا بالشركاء السذج، ففي صيف 1960 حدثت مجادلات وتجاذبات بين السلطات الصينية العسكرية وبين مصالح المخابرات الجزائرية التي كان

يترأسها عبد الحفيظ بوصوف حول قضية التمويل بالأسلحة، فخلال مدة التعاون بين السلطات الصينية والجزائر فإنهم كانوا في تواصل مستمر ووثيق مع أعضاء الحزب الشيوعي الجزائري السابقين الذين اندمجوا في الجبهة والتحقوا بالمجاهدين على الرغم من تعاطفهم ودعمهم الأساسي لجبهة التحرير الوطني التي كانت تضم أيضا الوطنيين والليبراليين والإصلاحيين.

كما قامت الصين بإرسال كميات من الأرز والقمح والشاي والعتاد المادي إلى الجزائريين (أدوية، أجهزة طبية وأنسجة وأغطية...) ومن جهة أخرى قامت كل من كوريا الشمالية، ومنغوليا الخارجية وفيتنام الشمالية بتقديم مساعدات مشابهة. لقد شوهدت عشرة سفن شحن انطلقت من ميناء شانغهاي نحو موانئ تونس والدار البيضاء بالمغرب منذ 29 أكتوبر1960 إلى غاية 15 فيفري 1961، أي بمعدل رحلة بحرية كل إحدى عشرة يوم. وكانت الصين تعلن في احتفالاتها علانية تعبيرا عن الصداقة مع الجزائر وعن مكافحتها للإمبريالية. وقد تمّ إعلان الاحتفالات بشكل أكثر فخامة عند مرور عمر أوصديق ممثل جبهة التحرير بالعاصمة بكين، كما تم إرسال الكثير من الرسائل من طرف الطلاب الصينيين إلى الطلاب الجزائريين، وقد منحت السلطات مكانا خاصا للجزائر ضمن اليوم المنظم من أجل مكافحة الاستعمار، وقد قامت هيئات مختلفة بإرسال رسائل إلى الجزائر منها النقابات ومخيمات الشباب، والبلديات الشعبية والحزب الشيوعي، معبرين عن تضامنهم الكبير مع الشعب الجزائري ومجاهديه.

على الرغم من أن معظم دول أوربا الشرقية لم تعترف بالحكومة الجزائرية المؤقتة، فإن كل الدول الاشتراكية في آسيا أعلنت عن اعترافها منذ تأسيس هذه الحكومة في 19 سبتمبر 1958م بالقاهرة. وقد فتحت الصين مكتبا دائما لجبهة التحرير بالعاصمة بكين، وكان أول ممثل للجبهة قد عين في شهر جويلية 1960 هو مصطفى فروخي الذي توفي في حادث تحطم طائرة سوفيتية كانت عابرة للأجواء الأوكرانية وسقطت بأراضيها، ثم عيّن بعده عبد الرحمن كيوان الذي التحق بمنصبه في شهر ماي من سنة 1961م. (MEYNIER; 2003: 613-614)

رغم ذلك يبدو أن الصينيين كانوا قلقين في المضي قدما وإلى آخر المطاف في تعاونهم مع الجزائريين، وقد كانوا شديدي الخوف من أن الجزائريين لن يتمكنوا من

الخروج نهائيا من قبضة ودوامة الدول الغربية الاستعمارية المتآزرة، وأنهم لن يستطيعوا إحداث قطيعة حقيقية مع الأنظمة الامبريالية، وأنّ الأيديولوجية الجديدة المتمثلة في النزعة أو ما كان يعرف بالمؤامرة النيوكولونيالية Néocolonialisme ستستغرقهم وستدمجهم ضمن مشروع عضوي مع فرنسا، لذلك وعلى العكس من السوفييت، فإنّ الصينيين قد شجبوا خطاب شارل ديغول يوم 16 سبتمبر 1959م حول تقرير المصير ومحاولة منح الجزائر استقلالا ذاتيا شبيها باستقلال الجارين تونس والمغرب، في حين أن السوفييت رحبوا باللقاء الذي حدث في ميلان، لكن الصين كانت تأمل أن يفشل هذا اللقاء. وهذا ما دفع الشريف بن حبيلس في تقريره لشهر فيفري 1961 قد نصح بأن يكون هناك التزام صريح وخالص لجبهة التحرير مع الصين، ولكنه مع نهاية الحرب وتقرير المصير تأكد الصينيون أن الجزائر كانت مختلفة وقادرة على اجتثاث الكثير من جذور الامبريالية من البلاد.

لقد كانت طريقة استقبال الوفود الجزائرية في الصين أكبر وأفضل مما كان يحدث في موسكو، وكان عادة ما تكون الزيارات إلى موسكو بعد انتهاء الزيارة الرسمية في بكين، وكانت اللقاءات مع السوفييت لقاءات سرية وليس كما كان يحدث في بكين. ففي أكتوبر 1960 قام فرحات عباس الذي كان قد حضي بحاوية الاستقبال بإلقاء خطاب مطول أمام تشو انلاي تمحور حول معاداة الإمبريالية الغربية. ونظرا لخبرتهم في حرب العصابات فإن الصينيين كانوا يقدمون دوما النصح للجزائريين بمواصلة الحرب حتى النهاية، وبعدها الدخول في المفاوضات لأن المفاوضات بالنسبة لهم تزيد من إضعاف عزيمتهم في القتال، وأن الضغط العسكري هو العامل الأكثر تأثيرا في انتهاء الحرب لصالح الجبهة. "أطلب منكم أن تكونوا أكثر حذرا... إن المقربين من أمريكا وأنصار الامبريالية يريدون أن يمنعونكم من الوصول إلى النصر... وكأصدقاء أوفياء، فإننا نتمنى أن المفاوضات لن تتسبب لكم في تأخير كبير وخطير للاستقلال" هذا ما صرح به المارشال شين يي إلى يوسف بن خدة في أكتوبر 1959" (HARBI; 1980: 523)

لقد كان الصين في وضعية تسمح لها بالتعاون مع الجزائر أفضل بكثير من دول أخرى، ومنها الاتحاد السوفيتي، وذلك بسبب أنها لم تكن عضوا في الأمم المتحدة، وأنها لم تكن قد التزمت بفكرة التعايش السلمي، وأنها كانت معزولة في الشرق الأقصى ولا

تتعرض لضغوطات كبيرة من طرف الامبريالية الغربية، ولم يكن لها علاقات قوية مع الدول الغربية، وحتى الشحنات التي كانت تقدم إلى الجزائر كانت تتم عبر السفن الدنماركية، وكانت الأمور تبدو كأن الصين قد وجدت آلة الحرب ممكنة ضد الامبريالية والاستعمار الغربي وهي جبهة التحرير. (MEYNIER; 2003: 614) وبالمقابل وجد الجزائريون في الصين البلد الآسيوي الشرقي المستعد دوما لتعاون تقني أكثر كفاءة، ولما كانت الصين في علاقات فاترة مع الاتحاد السوفيتي، وجدت لنفسها مع الجزائر تعويضا نسبيا لذلك الفراغ، وأن الجزائر أحد أكبر الدول التي يمكن ألاّ تكون منحازة لا للمعسكر الشرقي السوفيتي ولا للمعسكر الغربي.

ومن جانب الجزائر فإنه كان هناك حماس كبير للتعاون، وفي الوقت ذاته كان هناك تخوف من أن تقع الجبهة كليا تحت تأثير السلطات الصينية وتفقد الجزائر سيادتها وقراراتها. ولكن التغيرات التي عرفتها الصين الشعبية وسرعة التحولات في جميع المجالات وبخاصة الاقتصادية والصناعية قد أعجبت أعضاء الوفود الجزائرية، وقد عبر بن خدة عن إعجابه في قدرة الحكومة الصينية على تشغيل وتوجيه العمال بشكل ضخما وفق سياسة تنموية جبارة، كما عبّر عن هذا الإعجاب حتى المناضلين الذي لم تكن توجهاتهم اشتراكية، أمثال كريم بلقاسم الذي صرّح في خطاب له بعد عودته من بكين في ربيع سنة 1960، وكذلك فرحات عباس الذي يعتبر من أقدم الليبراليين قد أبدى إعجابه ليس بالنظام الاشتراكي في حد ذاته بل بما تستطيع الاشتراكية خلقه من فرص حقيقية للتنمية. "إن هذه التجربة تعتبر مفيدة جدا حتى بالنسبة للدول غير الماركسية... وأرى أنّ بعض الوسائل هي فعالة في ذاتها بالنسبة للصين كما بالنسبة للجزائر، إنني لا أجد الوسائل المناسبة لبلد متخلف مثل بلدنا من أجل اللحاق بالدول الغربية المتطورة سوى الاقتباس من تجربة الصين الجديدة ومن الاتحاد السوفيتي ومن بلدان أخرى واستعمال وسائل أخرى... لقد كان يومها فرحات عباس قد زار الصين وقد شهد الاحتفالات بالذكرى الحادية عشر لقيام جمهورية الصين الشعبية التي كانت ضخمة ومعبرة." (EL MOUDJAHID; N°72 Novembre 1960.)

وجاء هذا التصريح لأحد أقدم المناضلين الجزائريين الذين كانوا ينادونا في سنوات الثلاثينات بسياسة إدماج المجتمعين الأوروبي والجزائري ضمن وحدة وطنية من أجل أن

تزول الفوارق أملا أنّ فرنسا ستعطف على الشعب الجزائري يوما ما وتمنحه حق المواطنة. ثم تحول هذا الرجل إلى رئيس للحكومة المؤقتة الجزائرية التي كانت تصفها فرنسا بمجموعة الخارجين عن القانون.

في عام 1978م وتحت قيادة دنغ شياوبنغ، الذي يمثل الجيل الثاني من قادة الحزب الشيوعي الصيني والصين الجديدة، دخلت الصين المرحلة الجديدة للإصلاح والانفتاح وبناء التحديات الاشتراكية، فزادت سرعة التنمية الاقتصادية كثيرا، وشهدت قطاعات لعلوم والتكنولوجيا والتعليم والثقافة والرياضة البدنية والصحة تقدما متواصلا، وارتفعت مكانة الصين الدولية بسرعة. ونجحت في حل قضيتي هونغ كونغ وماكاو حسب صيغة "دولة واحدة ونظامان" وتأمل الصين أن تحل قضية تايوان بنفس الأسلوب.

تمسك الجيل الثالث من القيادة الجماعية للصين وفي القلب منه جيانغ تسه من، بسياسة الانفتاح على الخارج. أنظمت الصين إلى منظمة التجارة العالمية (WTO) عام 2001، الأمر الذي لعب دورا ايجابيا في بناء التحديثات الاشتراكية بالصين. ( THE OVERSEAS CHINESE AFFAIRES; 2006: 246-247)

حاليا وتحت قيادة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، وأمينه العام هو جين تاو، يعمل الشعب الصيني على بناء مجتمع اشتراكي متناغم، ودفع مسيرة بناء مجتمع الحياة الرغيدة على نحو شامل.

بعد انتزاع الجزائر استقلالها، واستعادة سيادتها، قدمت حكومة الصين الشعبية مساعدة مكثفة إلى الجزائر، لكن مع تغير هرم السلطة بعد عزل الرئيس أحمد بن بلة وظهور الرئيس هواري بومدين عرفت العلاقة فتورا لمدة من الزمن، وهذا ما تسبب في إلغاء الندوة الثانية الأفروآسيوية بالجزائر سنة 1965م. كما امتنعت الصين عن إظهار موقف واضح من النزاع الذي أشعله المغرب مع الجزائر على مسألة الحدود. كما أنها لم تعترف بالصحراء الغربية وجبهة البوليساريو بأنها مستقلة تماما عن المغرب، وفي المقابل دعمت موريتانيا في فكرة اقتسام الصحراء الغربية مع المغرب الأقصى، وكذلك لم تُبد الجزائر موقف مؤيدا لأي طرف في مسألة الخلافات والتصعيد الذي عرفته كل من موسكو وبكين. (BERGERE & BIANCO & JÜRGEN ; 1991: 393)

لقد قام وزير التجارة الصيني وأحد المحاربين القدماء باي شيانغوو Bai Xiangguo 白相国 بزيارة إلى الجزائر في شهر أكتوبر من سنة1971 حيث عادت العلاقات السياسية إلى طبيعتها وتجددت العلاقات الاقتصادية وأخذت نفسا أكبر. كما قام الرئيس هواري بومدين بزيارة إلى بكين في شهر فبراير من سنة 1974، (BERGERE & BIANCO & JÜRGEN ; 1991: 39) وهذا ما فتح أفاق التعاون الجزائري الصيني من جديد.

رغم فترة ثمانينات القرن العشرين، التي كانت صعبة على الجزائر والتي عرفت تراجع الأنظمة الاشتراكية عالميا، فكانت أزمة متعددة الأبعاد هزت أسس الدولة الوطنية، انخفاض أسعار المحروقات انسداد أفق التجربة الصناعية مما أحدث أزمة اقتصادية واجتماعية خانقة، يضاف لها تنامي الحركات السياسية المعارضة والتي كانت تطالب بالتخلص من لسلطة الحزب الواحد "جبهة التحرير الوطني"، وقد تزعم هذه الحركة أنصار الإسلام السياسي الذين حاولوا الاستيلاء على السلطة بعد أن نجحوا في الانتخابات المحلية والتشريعية، إلا أنهم تسرعوا في المطالبة بتنحية رئيس الجمهورية مما أدى إلى تصعد الوضع بسبب الاحتجاج الشعبي وتدخل الجيش لفض الإعتصامات، ومنها ظهرت جماعات تسعى إلى الوصول إلى السلطة عبر العمل المسلح، وبعضها كان يخطط لذلك منذ مدة، و كان من الصعب إيقافها سلميا خلال فترة التسعينيات. لقد أعلن حزب جبهة التحرير الوطني والسلطة السياسية القائمة أنداك وأنصار الجمهورية الحرب ضد تلك الجماعات، ودخلت الدولة في منعطف خطير كاد أن يعصف بالدولة ومؤسساتها، لقد تم حصار الجزائر من طرف الكثير من الدول الأوربية وبخاصة فرنسا تحت شعار حقوق الإنسان والديمقراطية المنتهكين بالجزائر، لكن السلطات الجزائرية استطاعت تجنيد معظم أطياف الشعب أن مشروع الدولة الإسلامية الذي تتغنى به المجموعات المسلحة هو اليوم مجرد حلم تاريخي ومصالح دنيوية آنية يراد تحقيقها بقوة السلاح واستباحة المحرمات من دماء وأموال. لم تتمكن السلطات في الجزائر من إقناع الرأي الوطني بهذه الفكرة فقط، بل تمكنت من إقناع الآلاف من المسلحين والقيادات بالتراجع عن أفكارهم وإيديولوجياتهم لصالح الدولة الوطنية التي قدمت مشروعا رائدا للمصالحة سمي بقانون الوئام المدني، تمّ من خلاله العودة بالجزائر إلى الدولة الوطنية

الموحدة والمستقرة والمقبلة على التنمية الشاملة، وقد ساهم في هذه التنمية المخلصون من الأشقاء والأصدقاء مثل سوريا وتركيا وجمهورية الصين الشعبية بكل قوة وعزم.

وعلى الرغم من العلاقات التاريخية المعقدة بين الجزائر والبلدان الأوروبية، وشدة حرص المستعمرين القدامى وحتى الولايات المتحدة على التحكم في هذه المنطقة واستغلال ثروتها وأسواقها، إلا أنّ الصين جاءت بسياسة جديدة أكثر فعالية وأقل تكلفة للطرفين.

**7/مساهمة الصين في التنمية في الجزائر:**

نشرت جريدة "الشعب" الجزائرية وهي الأقرب إلى الحكومة في حوار مع سفير الصين بالجزائر ما يلي: "رافع السفير الصيني بالجزائر السيد ليويوهي من أجل شراكة إستراتيجية بين الجزائر والصين تترجم العلاقات السياسية المتميزة بين البلدين الضاربة في أعماق التاريخ وظلت على الدوام مضرب المثل والمرجعية للحوار جنوب جنوب في زمن يعيش فيه العالم اضطرابات لم تتوقف زادتها حدة تداعيات الأزمة المالية العالمية. وقال السفير لنفس الجريدة: "أن هناك قواسم مشتركة بين الجزائر والصين تخدم هذه العلاقات القوية وتأمينها من أية اهتزازات وتحديات الظرف الطارئ في مقدمتها النضال المشترك ضد الاستعمار في حقب التحرر الوطني واستعادة السيادة ومواصلة دعم القضايا العادلة وحق الشعوب في تقرير مصيرها ومسعى المطالبة "بدمقرطة" العلاقات الدولية وتوسيع اتخاذ القرار إلى الدول الناشئة دون الإبقاء على التبعية للمركزية الغربية والاحتكار المنبثق عن الحرب الباردة." هناك وعي بالتاريخ وتطلع مشترك للمستقبل بين قيادات البلدين، فلم يبق سوي تجسيد المشاريع التنموية على ارض الواقع.

ترافق الصين الجزائر في ضمان الشراكة الإستراتيجية لإنجاز المشاريع الكبرى الواردة في البرنامج ين الخماسيين. وقد نجحت الشركات الصينية من خلال المهارة المعرفية والتكنولوجية من انتزاع صفقات كبرى في قطاعات السكن والاتصالات والنقل والأشغال العمومية. وبلغ حجم التبادل التجاري بين الجزائر والصين 08 مليارات دولار.

وقد عرفت العلاقات الاقتصادية بين البلدين دفعا حقيقيا بداية من سنة 2000 ليتم إنشاء "الشراكة الإستراتيجية العامة"، وحسب آخر الإحصائيات فقد فقدت فرنسا مكانتها كأول متعامل اقتصادي مع الجزائر للصين في 2013، هذه المكانة التي احتفظت بها الصين خلال الثلاثي الأول من السنة الجارية، حسبما كشفت عنه الجمارك الجزائرية في حصيلتها الأخيرة، ببلوغ قيمة صادرات الصين نحو الجزائر 1.87 مليار دولار خلال الأشهر الثلاثة الأولى من 2014 لتليها فرنسا بـ1.67 مليار دولار. (جريدة الفجر -2014 05-04)

كما تعد الجزائر الشريك التجاري الأول للصين في المنطقة وأكبر سوق للتصدير في المغرب العربي، حيث تهيمن المبادلات التجارية بين البلدين على أزيد من 40 بالمائة من معاملات الصين في الحوض المغاربي، والذي يقارب 21 مليار دولار، كما بلغت قيمة الاستثمارات 14 مليار دولار في ظرف 8 سنوات. وحسب ما كشفته الوكالة الصينية شينخوا Xinhua، فقد استثمرت الشركات الصينية في الجزائر أزيد من 20 مليار دولار في قطاعات عدة خاصة البناء والأشغال العمومية، وحسب تحقيق مكتب ثينك تانك الأمريكي Think tank، فقد بلغت استثمارات الشركات الصينية في الجزائر (بين 2005 و2013) 14 مليار دولار، مما جعل الجزائر ثاني سوق لشركات المقاولات الصينية في إفريقيا بعد نيجيريا وواحدة من بين أهم 15 شريكا لها عبر العالم. (جريدة الفجر -2014 05-04)

في أواخر عام 2016، وقعت الجزائر والصين اتفاقا هاما لإعادة هيكلة العلاقات الاقتصادية المشتركة التي كانت قائمة على أساس التجارة لصالح الصين وتوجيهها إلى الاستثمار الحيوي والإنتاج المشترك من خلال إنشاء هيئة تنفيذية تسهر على متابعة الشراكة في القطاع الصناعي والتكنولوجي بين البلدين. وقد شمل هذا الاتفاق التصنيع واستغلال الموارد الطبيعية والطاقة (النفط والغاز)، والصناعة الميكانيكية، وصناعات السكك الحديدية، وصناعة الحديد والصلب، والبنية التحتية والبتروكيماويات والطاقة المتجددة، ونجاعة استخدام الطاقة وتصنيع المنتجات المعدنية، والبناء، والأجهزة الكهرومنزلية والتعاون التقني.

كان الميزان التجاري ولا يزال لصالح الصين على حساب الجزائر، ففي الشهرين الأولين من عام 2016 وصل إلى 3.72 مليار دولار وانخفض في الفترة نفسها من العام الحالي 2017 إلى 1.69 مليار أي بانخفاض قدره بنسبة 55٪. وفي المقابل فإن الصادرات الصينية نحو الجزائر قد ارتفعت إلى 7.75 مليار بعدما كانت 7.71 مليار خلال السنتين المنصرمتين. وتتكون الصادرات الجزائرية إلى الصين خارج المحروقات من منتجات نصف مصنعة 395 مليون دولار، المواد الغذائية 42 مليون دولار، والأجهزة الصناعية 8 ملايين دولار والسلع الاستهلاكية غير الغذائية 2 مليون دولار. (http://afriqueinside.com/algerie-la-chine-confirme-sa-place-de-premier-fournisseur21-03-2017/#RtmFGuzLagMGxS7X.99)

وفي خلال هذه السنة أي 2017، أكدت الصين المحافظة على مكانتها كأول مزود تجاري للجزائر، خلال الشهرين الأولين من عام 2017 حيث وصل حجم التجارة 1.56 مليار دولا أمريكي، أو ما يعادل20.21٪ من7.75 مليار دولار تمثل إجمالي واردات الجزائر من الصين، وفقا لأحدث تقرير للمركز الوطني للمعلومات والإحصاءات للجمارك الجزائرية (CNIS). (http://afriqueinside.com/algerie-la-chine-confirme-sa-place-de-premier-fournisseur21-03-2017/#RtmFGuzLagMGxS7X.99).

نشرت صحيفة تشاينا ديلي الصينية على موقعها الإلكتروني، يوم الاثنين 23 مارس سنة 2021م، ما كتبه السفير الصيني في الجزائر، لي ليان خي، وجاء فيه: "أصبحت الجزائر عام 2014 أول دولة عربية تقيم شراكة إستراتيجية شاملة مع الصين. ومنذ ذلك الحين، دخلت العلاقات بين الصين والجزائر مرحلة جديدة من التطور. وتشترك الصين والجزائر في أساس سياسي متين، وقد أسفر تعاونهما العملي عن نتائج مثمرة". كما أجرى البلدان تبادلات ثقافية وثيقة، وواصلا تعميق وتعزيز شراكتهم الإستراتيجية الشاملة. وتعد الصين أكبر مصدر للواردات إلى الجزائر وشريكا تجاريا رئيسيا منذ سنوات.

https://arabic.sputniknews.com/arab_world/202103231048438225الصين-والجزائر-شراكة -استراتيجية-وتعاون-في-طريق-التنمية /-التصفح 10-10-2021)

لقد أكمل البلدان بشكل مشترك العديد من مشاريع التعاون العملي، بما في ذلك مشاريع كبرى بالنسبة للجزائر -الطريق السريع بين الشرق والغرب والطريق السريع بين الشمال والجنوب، والمسجد الكبير في الجزائر وهو أكبر مسجد في إفريقيا وثالث أكبر مسجد في العالم، والمركز الدولي للمؤتمرات ودار الأوبرا في الجزائر العاصمة، ومئات الآلاف من الشقق السكنية والتي أصبحت رموزا جديدة للصداقة الصينية الجزائرية. كما حافظ البلدان على تبادلات ثقافية وثيقة. شاركت الجزائر في الفعاليات الثقافية للاحتفال بالسنة القمرية الصينية الجديدة لسنوات عديدة، والتي لعبت دورا نشطا في تعزيز الصداقة بين شعبي البلدين. لقد أقام الشعبان الصيني والجزائري علاقات صادقة، وحصد البلدان منافع متبادلة منذ إقامة العلاقات الدبلوماسية قبل أكثر من 60 عاما.

التعاليق:

- **التعليق رقم1**: تركستان: يقصد بها في الغالب كل البلاد الواقعة وسط أسيا من بحر قزوين غربا إلى حدود الصين الغربية شرقا، حيث ينتشر السكان من أصول تركمانية، وتعني بلاد الترك باللسان الفارسي، وتضمّ ما عرف بتركستان الغربية السوفيتية (تركمانستان وكازاخستان، وقيرغزيستان، وتاجاكستان) وتركستان الشرقية المعروفة بتركستان الصينية التي تسمى شينجيان بالصينية وتركستان الجنوبية وتدعى تركستان الأفغانية.
- **التعليق رقم2**: كراتشكوفسكي، إغناطيوس: بالروسية Крачко́вский، وبالانجليزية Krachkovsky: من أكبر وأشهر المستشرقين الروس على الإطلاق، ولد في فيلينيوس سنة 1883م وتوفى في لينينغراد 1951، حيث كان يدرس بجامعتها، قام بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الروسية، واعتنى بالكثير من الأعمال التراثية العربية الإسلامية، منها نشر كتاب الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري، ولعلى أعظم أعماله كان: تاريخ الأدب الجغرافي العربي والذي ترجمه صلاح الدين هاشم للعربية، وصدر في القاهرة سنه 1957م ويقع في مجلدين، 1133 صفحة.

-التعليق رقم3: تشو انلاي: (بالصينية: 周恩來 Zhōu Ēnlái): كان من بين أكثر الشخصيات المؤثرة في تاريخ القرن العشرين، شغل منصب رئيس وزراء جمهورية الصين الشعبية منذ تأسيسها سنة 1949 حتى وفاته في سنة 1976. عمل في ظل حكم القائد الصيني ماو تسى تونج MAO ZEDONG كما كان من بين أكثر الرجال تأثيرا في مسيرة الحزب الشيوعي وتحكمه في

السلطة وتشكيل السياسة الخارجية وإحداث التنمية الاقتصادية للصين في النصف الثاني من القرن العشرين.

-التعليق رقم 4:

«*Si nous faisions l'intégration, si tous les Arabes et Berbères d'Algérie étaient considérés comme Français, comment les empêcherait-on de venir s'installer en métropole, alors que le niveau de vie y est tellement plus élevé? Mon village ne s'appellerait plus Colombey-les-Deux-Églises, mais Colombey-les-Deux-Mosquées !*». PEYREFITTE. ALAIN, *C'était de Gaulle*, (2 Tomes), Tome 1, éd. éditions de Fallois/Fayard, Paris, 1994, p.52.

- التعليق رقم5: هناك بعض التباين والاختلاف في الأرقام لدى كثير من الأطراف الرسمية، وفي الأوساط الإعلامية والأكاديمية.

- التعليق رقم6: جوزيف بروز تيتو (1892-1980م) رجل دولة يوغسلافي من أصل كرواتي، شغل العديد من المناصب منذ عام 1943 حتى وفاته. قاد المقاومة اليوغسلافية ضد الاحتلال النازي. بفضل سياسته الاقتصادية والدبلوماسية الناجحة أصبحت له شعبية كبرى سواء في يوغسلافيا أو خارجها حيث ينظر إليه كرمز توحيدي للمكونات العرقية والطائفية في البلقان، حيث تمكن من تشكيل مجتمع متراص ودولة محترمة ودبلوماسية فعالة عبر نشاطه القوي في حركة عدم الانحياز خلال الحرب الباردة بجانب نهرو وجمال عبد الناصر، ناصر القضية الجزائرية وقدم لها الكثير من الدعم والمساندة.

- التعليق رقم7: الواقع أنه بعد 1957م لم تكن هناك حرية التحرك عبر الحدود البرية بسبب تشديد الجيش الفرنسي الحراسة وبناء خطوط الموت "خطي شال وموريس"، فلم تكن تصل لا المعدات والأسلحة ولا الأموال ولا الرجال إلى عمق الجزائر مما أدى إلى الاستمرار في سياسة الاعتماد على النفس، حتى إعلان الاستقلال ودخول جيش الحدود إلى البلاد.

**المصادر والمراجع:**


- ابن بطوطة. (د. ت.). تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت. دار صادر.
- الدينوري، أبو حنيفة. (1330ه). الأخبار الطوال، مصر مطبعة السعادة ط ،1 1330ه.
- العربي، إسماعيل. (1994) دور المسلمين في تقدم الجغرافيا الوصفية والفلكية، الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية.
- الفجر، جريدة 04-05-2014

- الكيلاني، شمس الدين. (2008). صورة شعوب الشرق الأقصى في الثقافة العربية الوسيطة (الصين والهند وجيرانهما)، دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب.

- BERGERE, MARIE-CLAIRE. BIANCO, LUCIEN. DOMES JÜRGEN. (1991) (dir.), *la Chine au XXe siècle tome II, de 1949- à aujourd'hui*, (2 toms). Paris: Fayard.
- GOUVERNEMENT GENERAL DE L'ALGERIE. (1888). Code de L'indigénat, *Bulletin officiel. In Journal officiel de la République française du 28 juin 1888*
- EL MOUDJAHID. (JOURNAL DE FLN) N°72 Novembre 1960.
- FERRAND, GABRIEL. (2014). *Relations de voyages et textes géographiques arabes, persans et turcs relatifs à l'Extrême-Orient du VIIIe aux XVIIIe siècles* (traduits, revus et annotés par Gabriel Ferrand), (2 vol.) vol. I. Paris : Ed. Leroux, 1913-1914. Cambridge University Press.